العرب
الإثنين 2021/09/20
السنة 44 العدد 12185

الأشعة الكهرومغناطيسية تضرب الأرض وتربك استقرارها

«التردّد الأخير».. فيلم خيال علمي يبعث برسائل سياسية عبر سيرة الفيزيائي نيكولا تسلا

بناء قصة خيالية على وقائع وشخصيات حقيقية أمر درجت سينما الخيال العلمي على الاشتغال عليه بكثافة ما يمنحها مساحة أوسع لتقديم أحداث وشخصيات إضافية، وبالتالي منح كاتب السيناريو والمخرج المرونة الكافية لكي يضيفا المزيد من التفاصيل التي وإن كان فيها الكثير من الخيال إلاّ أنها مبنية على وقائع حقيقية. وهو ما ينطبق على فيلم "التردّد الأخير" للمخرج تيم لوري.

طاهر علوان
كاتب عراقي

ينطلق فيلم الخيال العلمي "التردّد الأخير" للمخرج تيم لوري من وقائع حقيقية، حيث تسرد المشاهد الأولى منه جانبا من سيرة العالم الأميركي اللامع نيكولا تسلا (1856–1943) الأب الروحي لتكنولوجيا الطاقة الكهربائية والكهرومغناطيسية، والذي شكّلت حياته بتفاصيلها الغزيرة وإنجازاته وبراءات اختراعاته التي توصل إليها نقطة تحوّل في تاريخ البشرية ما تزال تجني ثمارها حتى الساعة.

وعلى فرضية أن ذلك العالم العبقري كان قد ترك وراءه وثائق لا تقدّر بثمن بالإمكان الاستفادة منها، تمّ بناء قصة الفيلم في تتبّع جانب من سيرة تسلا، وهو الذي عرف بكشوفاته المبكرة للطيف الكهرومغناطيسي وموجات الراديو واللاسلكي وتردّدات التيار المتناوب والطاقة المختزنة في الأشعة.

هذه الحصيلة يتحدّث عنها البروفيسور ستيوارت (تشارلز شوغنيسي) لطلابه، ومن بينهم طالبته الشغوفة إيثر (الممثلة كيربي بلانتون)، لكن يبدو أن ذلك الحديث المسهب، والذي يكون البروفيسور ستيوارت قد تعمّق فيه سوف يفضي إلى ما هو أبعد، وذلك من خلال إلمامه العميق بالإرث العلمي للعالم تسلا وصولا إلى حقيقة الاستخدام الشرير من أطراف حكومية لما اختزعه تسلا في ما يخصّ استخدام الطاقة والأشعة الكهرومغناطيسية لغرض التخريب وإحداث متغيّرات في الطبيعة مثل الزلازل والهزات الأرضية والصواعق، وهو ما يريد ستيورات ومن ثم تلميذته إيثر الدفاع عنه.

يبني المخرج دراما قائمة على تقاطع الأهداف بين أطراف عدة ومنها المباحث الفيدرالية الأميركية، حيث تشير معلومات لاحقة إلى أن مؤسسات حكومية سرية فقدت أثر وثائق كان قد تركها تسلا، ويبدو أن المخرج قد بنى تلك السردية على أساس هذه الواقعة التي يصبح الوصول إليها هدفا طموحا للعديد من الأطراف، منها شركات عملاقة تريد أن تستثمر في تلك الاكتشافات والاختراعات.

وأما إذا مضينا مع المزيد من الشخصيات، فقد تشعّبت أحداث الفيلم مع إدخال شخصيات أخرى إضافية، ومنها ذلك الجندي الذي حارب في سوريا والعائد من هناك محطما، والذي سوف يشارك إيثر في مهمتها، والمتمثلة في تقصي حقيقة الوثيقة والمذكّرات التي يُجرى البحث عنها.

لكن التحوّل في مسار الدراما والحبكة الثانوية الأكثر قوة قد تمثلت في اختفاء أثر البروفيسور ستيوارت وعدم معرفة أي أحد لمصيره، ومن الواضح منذ الإعلان عن اختطافه أن الهدف يكمن في الاستيلاء على الوثيقة ودفتر الملاحظات والمذكّرات التي يحتفظ بها ستيوارت، ولهذا فإنه يوصي تلميذته إيثر بالعثور عليها وإخفائها وعدم إعطائها لأيّ شخص.

يدخل المخرج خلال ذلك واحدة من التقنيات الكهرومغناطيسية، وهو سلاح يتم استخدامه لتسليط الأشعة على أيّ شخص كان وتغيير طريقة تفكيره وإجباره على فعل ما، وهو ما يقع في المشاهد الأولى من الفيلم عندما يتم إجبار مستثمر يتولى الإنفاق على مشاريع تتعلق بإرث تسلا العلمي، أن يقفز من أعلى عمارة منتحرا.

هذه الفبركات وطريقة السرد الفيلمي كلها بدت غير متوافقة مع التأسيس الدرامي القائم على موضوع الأبحاث العلمية المعمّقة، إذ كرّس المخرج مساحة كبيرة للشخصيات للحوار بدل المضي في الأحداث في تصعيد مضطرد، وأما عندما يتعلق الأمر بزجّ شخصية صاحب شركة الأبحاث والمستثمر سيروس (الممثل ريتشارد بورغي)، فإن الأمر سرعان ما ينقلب إلى ما يشبه أفعال العصابات بسبب غموض سيروس وإصراره على العثور على البروفيسور المخطوف، ومن ثم استدراج إيثر وبتأثير الأشعة الكهرومغناطيسية لغرض أن تفصح عن وجود مكان المذكّرات.

على الجانب الآخر، ولكي يرفع المخرج من مساحة المغامرة والتشويق فإنه يأتي بأصدقاء إيثر الذين يتجوّلون بسيارة رصد وتنصّت، ومن ثم فإنهم ولغرض الوقوف في وجه سيروس يلحقون الضرر بمؤسّسته من خلال نشوب حريق مفتعل، وهو مفتعل بشكل واضح، لأنه مصنوع رقميا وليس حقيقيا، وهي ثغرة لم يكن لها أي مبرّر أو دافع مهم لغرض استخدامها كي تظهر بذاك المستوى التقني الرديء.

في موازاة ذلك تدخل شخصية المحقّق الفيدرالي (الممثل جوش موراي) الذي يفترض أن حضوره كان لغرض إعمال القانون في العثور على البروفيسور المخطوف، لكن التحوّل الدرامي سوف يقودنا إلى منع البروفيسور من المضي في مهمته لغرض إيقاف عمليات بث كهرومغناطيسية قد تفضي إلى زلزال مدمّر من الممكن أن يضرب إحدى المدن الأميركية.

ومن تلك الحصيلة يلمّح الفيلم إلى ما يحدث من زلازل وهزات أرضية وحتى صواعق مدمّرة من الممكن تصنيعها كهرومغناطيسيا، وعلى هذا الأساس تتّجه الأحداث باتجاه آخر متّخذة منحى سياسيا، مبرزا أن تلك الوقائع تجري على مسافة ساعات من انعقاد قمة الدول الصناعية الكبرى، كما أن الأحداث تقع في حقبة حكم الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب، وبذلك انتقلنا من فيلم خيال علمي إلى فيلم ذي أبعاد سياسية ليس من الواضح ما هو هدف المخرج من المضي فيها وتعميقها.

مطاردات وحرب عصابات لمنع زلزال مدمّر

الفيلم يلمّح إلى أن ما يحدث من زلازل وهزات أرضية وصواعق مدمّرة من الممكن تصنيعها كهرومغناطيسيا لأغراض سياسية

فرنسا تحتفي برائدة الحداثة الأميركية جورجيا أوكيف بعد عقود من الإنكار والتهميش

الأميركية جورجيا أوكيف أيقونة في بلدها، ولكنها منسية في فرنسا، ولم يحتف بها مركز بومبيدو للفن المعاصر بباريس إلاّ بعد رحيلها منذ خمس وثلاثين سنة. بل إنه لا يملك لها إلاّ لوحة واحدة، ما اضطره إلى استقدام اللوحات المعروضة من متاحف أخرى.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

يحتضن مركز بومبيدو بباريس معرضا فنيا للأميركية جورجيا أوكيف (1887–1986) يحاول أن يقدّم صورة متكاملة عن هذه الفنانة التي عدّها مؤرخو الفن أمّ الحداثة الأميركية ورائدة ما عرف بالحافة الصلبة، وهو مصطلح صاغه الناقد جول لانغسنر عام 1959، للدلالة على التجريد الهندسي بعد الحرب، ويتميّز بالتكرار المتسلسل للعناصر المطلية بلون خالص وبشكل موحد بألوان صريحة ومكثفة أو على هيكل اللوحة القماشية في مناطق محددة.

بدأت جورجيا أوكيف ممارسة الفن في سن مبكرة، ثم تلقت دروسا بمعهد الفن بشيكاغو، ورابطة طلبة الفن بنيويورك، وقسم الفن بجامعة كولومبيا، وتعرّفت على العديد من الفنانين والأساتذة الذين ساهموا في نحت أدواتها وتبيّن مسارها، بيد أنها سرعان ما عافت الفن الأكاديمي، تلقيا وتدريسا، فمضت تمارس الرسم في فضاءات تختارها بنفسها، سواء داخل المدن، وخاصة شيكاغو ونيويورك، حيث أنجزت عدة لوحات عن ناطحات السحاب، أو خارجها تستلهم من المناظر الطبيعية مادتها، لاسيما بعد أن هجرت نيويورك نهائيا واختارت العيش في نيو مكسيكو.

انتقلت أوكيف بعد تجربة في الرسم المائي إلى الرسم الزيتي، وبدأت تستوحي لوحاتها من المناظر الطبيعية، وخاصة المناطق الخالية، حيث يبدو المشهد سرياليا أو يكاد، لالتقاطها عن قرب مناظر غريبة كأنها من كوكب آخر.

ولكن اهتمامها كان مركّزا على الأزهار، مرئية أم متخيلة، تصوغها بطريقة فريدة، تتجلى فيها الألوان بكيفية شاعرية. وزائر معرضها هذا يغوص في عالم عجيب يمسح ستين عاما من الخلق والإبداع، ليكتشف نشأة الحداثة الأميركية، عبر الأزهار العملاقة، والمشاهد القمرية في نيو مكسيكو، وناطحات السحاب في نيويورك، حيث تتبدّى طاقة حيوية يُغذّيها الضوء واللون والرغبة الحسية.

> **لوحات أوكيف تميّزت بالتكرار المتسلسل للعناصر المطلية بلون خالص وبشكل موحد بألوان صريحة ومكثفة**

وسرعان ما طبقت شهرتها الآفاق، وبدأت تنظّم معارض خاصة في العديد من المتاحف الشهيرة مثل معهد الفن بشيكاغو، ومتحف الفن المعاصر بنيويورك، وكانت أول فنانة يحتفي بها هذا المتحف. كما اختيرت عضوا بالأكاديمية الأميركية للفنون والآداب، ونظّمت لها العديد من المعارض الاستعادية في عدة مدن أميركية، وعدّها النقاد ومؤرّخو الفن أمّ الحداثة الأميركية.

وبمرور الأعوام صارت أيقونة وطنية، فأهداها الرئيس جيرالد فورد وسام الحرية، ثم توّجت مسيرتها لاحقا بالميدالية الوطنية للفنون، وكانت أول امرأة تباع إحدى لوحاتها بأربع وأربعين مليون دولار، وهو رقم قياسي للوحات الفنانات.

ورغم كل ذلك، فإن مركز بومبيدو للفن المعاصر بباريس لا يملك من أعمالها سوى لوحة يتيمة، كما أن المتاحف والمعارض الفرنسية الأخرى ظلت زمنا معرضة عنها.

ولسائل أن يسأل لماذا لم تحتف المتاحف الفرنسية بأوكيف من قبل؟ والجواب حسب بعض النقاد متشعّب. منه ما يدخل في باب الصراع بين الأميركان والفرنسيس حول أسبقية ابتكار ما سُمي بالفن المعاصر؛ ومنه ما يعود إلى العُقد الذكورية التي لا تزال سائدة في الوسط الفني؛ ومنه ما يعزى إلى أوكيف نفسها، فهي عادة ما كانت تقدّم نفسها بوصفها "رسامة، رسامة فقط، لا غير"، في حين أن الرسم ألغي أو يكاد في أعمال الحركات الفنية الحديثة.

ولكنْ هناك سبب آخر جعل الساهرين عن المتاحف في فرنسا يغضون عنها الطرف منذ رحيلها، ألا وهو طبيعة لوحات أوكيف، وبالأحرى ما ألصق بها منذ مطلع القرن الماضي.

حدث ذلك منذ عام 1919 تاريخ بداية مرحلة استكشاف أوكيف لثيمة الأزهار، فقد كان للتُّوَيْجات المفتوحة، والبتلات المكشوفة، والمدقات الوردية المنتصرة (المدقة هي عُضْوُ التَّأْنِيثِ في النَّبات) تفسير جنسي، لاسيما أن ظهورها تزامن مع الثورة الفرويدية.

فقد نظر إليها النقاد كتعبير مستفَز عن رغبة أنثوية وصور إيروسية ورموز جنسية تكاد لا تخفى، ما أثار فضيحة في الوسط الفني، لاسيما أن زوجها ألفريد ستيغليتز المتخصّص في التصوير الشمسي كان لا ينفكّ يلتقط لها صورا تبدو فيها عارية تماما، بل إنه كان ينظم في رواقه الخاص بصفة دورية تقريبا معارض عن تلك الصور، قبل أن يفتح باب رواقه لمعارض لوحات أوكيف، بشكل لفت نحوها الانتباه، فكان منطلقا لمساهمتها في معارض جماعية ثم فردية.

لقد تركت جورجيا أوكيف نحو تسعمئة عمل فني، حرصت فيها طوال حياتها المديدة على الالتزام برؤيتها الفنية المخصوصة وحدها، فلم تتأثر بالتيارات الطلائعية بالرغم من أن بعض النقاد يدرجونها مرة ضمن التصويرية ومرة أخرى ضمن التجريدية.

ورغم أنها عاصرت التعبيرية التجريدية فإنها لم تهتمّ بها، وغادرت نيويورك نهائيا عام 1949 لتستقرّ في نيو مكسيكو، تاركة النجومية والمجد والشهرة لجاكسون بولوك ومارك روثكو، لأنها لم تكن تؤمن بما أجمع عليه النقاد في عمومهم من أن التجريد هو النهاية المنطقية والمشروعة لتاريخ بدأه سيزان ومرّ بالتكعيبية، فقد وقفت من ذلك موقفا مناهضا، لكونها تكره التصنيف، ولا تريد أن تتّبع غير حساسيتها الفنية.

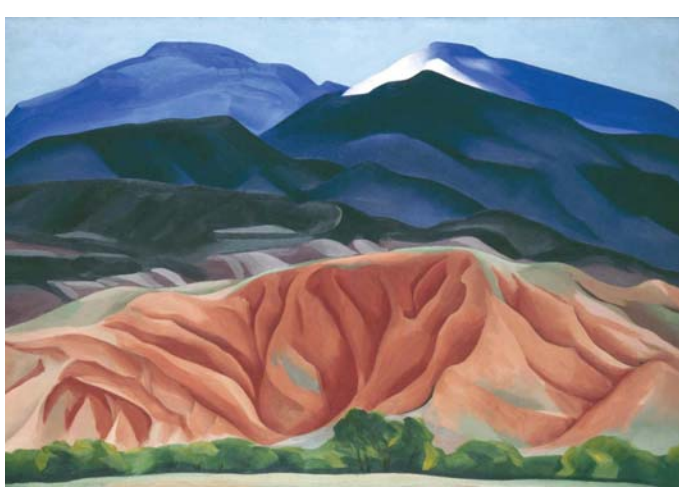

مناظر طبيعية غريبة كأنها من كوكب آخر

جنون خريستو وقوس النصر

فاروق يوسف
كاتب عراقي

كما لو أنه لا يزال حيا. باريس تحتفي بخريستو وتهبه أعظم تحفها. قوس النصر. مَن يحلم بالاستيلاء على قوس النصر وهو رمز فرنسا؟

قبل وفاته كان خريستو قد قرّر أن يكون تغليف قوس النصر هو عمله الأخير. وهو من وجهة نظره العمل الذي سيخلّده. من الطبيعي أن لا توافق الحكومة الفرنسية على ذلك. فـ"قوس النصر" ليس مباحا للعب البصري.

أنت ترى باريس من خلاله مثلما هو حال برج إيفل. كانت مغامرة فردية مجنونة. غير أن خريستو كان يفكّر بطريقة عاصفة. ولكن الشجاعة ترتبط بقرار حكومي. أن تتخلى الدولة الفرنسية عن واحدة من أعظم تحفها لتكون ملكا للفنان الذي سبق له وأن استولى على جسور وقصور تاريخية وجزر حول العالم.

قبل سنة مات خريستو المولود في بلغاريا عام 1935. غير أن مشروعه في تغليف قوس النصر استمر ليخلق الرئيس الفرنسي ماكرون من خلاله حدثا تاريخيا يُذكر بعهده.

لقد اختفى قوس النصر مؤقتا بعد أن غلفه خريستو مثلما فعل من قبل مع أحد جسور باريس التاريخية. وبسبب ضخامتها فإن أعمال خريستو تكلف أموالا طائلة من غير أن تعود عليه بأي مردود مادي.

إضافة إلى أنها أعمال زائلة لا يبقى منها سوى الصور والخرائط التي غالبا ما كان الفنان وزوجته جان كلود يستعملانها في إقامة معارضهما الشخصية.

وقد يبدو فن خريستو دليلا على ما ينطوي عليه الفن من جنون، حسب العبارة الشهيرة، غير أن ما فعله ذلك الفنان عبر حياته هو التجسيد الأمثل للشجاعة والجرأة والثقة التي يعود مصدرها إلى الثقة بقوّة الفن وقدرته على الدفاع عن البيئة.

لقد حجز خريستو مكانه بين الخالدين من الفنانين في وقت مبكّر من حياته. ذلك لأن فنه لم يكن مسبوقا وليس من المتوقع أن يظهر فنانون يكملون مسيرته. فإضافة إلى الصعوبات التي ينطوي عليها ذلك الفن، فإنه لا يجلب الأموال التي يحلم بها الكثيرون.

كانت السعادة هي الثمرة التي لطالما رعاها خريستو بأفكاره المجنونة. سعادة أن تحمل التحف الخالدة توقيعه وتوقيع زوجته. وها هي باريس تهبه فرصة التوقيع على قوس النصر، وهو أثرها الخالد.

رمز فرنسا يستجيب للحلم الأخير لخريستو